

من أجل هذا.. كان سيدنا
 أحمد عليه السلام أشد الناس



حرصا على أن يكون أتباعه الكرام
 متّصّفين بكل من الصفتين اللتين
 يقتضيهما استمرار نعمة الخلافة
 بينهم.. وهما الإيمان والعمل الصالح..
 تحقيقا لوعده الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
 آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾، ولهذا فقد
 ضمّن كتابه "الوصية" نصائح خاصة
 لأفراد جماعته، حتى يكون بذلك قد
 أدى واجبه أمام الله تعالى. ونقتطف
 فيما يلي باقة من هذه النصائح التي
 قال فيها ما تعريه:

"عليكم أن تتعاطفوا فيما بينكم
 وتتركوا أنفسا لتنالوا نصيبا من روح
 القدس، لأنكم لن تنالوا التقوى
 الحقيقية بدون روح القدس. تخلّوا
 عن ثواتركم النفسانية تماما، واسلكوا
 أعسر الطرق وأضيّقها ابتغاء مرضاة
 الله تعالى. لا تجعلوا همكم لذات الدنيا
 فإنها تُبعدكم عن الله تعالى، بل
 اختاروا حياة المرارة لوجهه تعالى، فإن
 الألم الذي فيه رضاء الله خير من اللذة
 التي تستجلب غضبه، وإن الهزيمة التي
 تُرضي الله أفضل من النصر الذي
 يوجب غضبه. فاقبلوا عن الحجة التي
 تدنيكم من غضبه.
 لو أقبلتم على الله طاهري القلوب

الرحيل.. والقدرة الثانية

بقلم: الأستاذ مصطفى ثابت *

تحت سلسلة السيرة المطهرة يتناول الكاتب

سيرة حضرة ميرزا غلام أحمد

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

مُبرزا الوقائع والأحداث الهامة

من حياة حضرته المطهرة

ذكرنا في الحلقة السابقة أن سيدنا أحمد عليه السلام
 قد تلقى من الله تعالى وحيا يشير إلى اقتراب
 مواعيد وفاته، فكتب لجماعته كتيبا صغيرا اسمه
 "الوصية" ليخبرهم بهذا الأمر، ويبيشرهم أيضا
 بأن الله تعالى سوف يتجلى عليهم بقدرة ثانية،
 وذلك بأن يقيم فيهم الخلافة على منهاج النبوة،
 كما سبق وأشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد
 شرح عليه السلام لجماعته أن من سنة الله أنه يحقق
 بعض النصر للنبي المبعوث أثناء حياته، ويحقق
 بعضه الآخر بعد وفاته، وعلى يد من يقيمه عليه السلام
 في مقام الخلافة، وأوضح ضرورة استمرار الإيمان
 والعمل الصالح.

* كاتب من مصر

من سبل الخير، لأنكم لا تدرّون بأي السبل تُقبَلون.

لكم البشرى! فميدان التقرب إلى الله حال، وكل أمة عاكفة على حبّ الدنيا، وأعرض العالم عن الأمر الذي من شأنه أن يكسب لهم رضاء الله. فالذين يريدون أن يقتحموا هذا الباب بكل قوة، فالفرصة سانحة لهم ليُبدوا قدراتهم في هذا المجال وينالوا أفضل الله الخاصة.

لا تظنوا أن الله تعالى سوف يضيعكم، أنتم بذرةٌ بَدَرها الله تعالى في الأرض بيده. يقول الله تعالى: إن هذه البذرة سوف تُنمُو وتزدهرُ وتُتفرّعُ في كل طرف، ولَسَوْفَ تصبح دَوْحَةً عظيمةً. فطوبى للذي يؤمن بقول الله تعالى ولا يخاف الابتلاءات العابرة، لأنه لا بد من الابتلاءات أيضا لكي يختبركم الله من هو صادق منكم في ادعائه للبيعة ومن هو كاذب. والذي يَزِلُّ بسبب الابتلاء لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه، والشقاوة سوف تُوصله إلى الجحيم، وإنه لو لم يُؤلَد لكان خيرا له. ولكن الذين يصبرون إلى نهاية المطاف سوف تأتي عليهم زلازل المصائب وتُهَبُّ عليهم عواصفُ الابتلاءات، وسوف تُسخرُ منهم الأقوامُ وتستهزئ. وتُعاملهم الدنيا بالكراهية؛ ولكنهم هم الذين

لأمر الله تعالى، بل تتبعون الشيطان. لا تتوقعوا أبدا، والحالة هذه، أن ينصركم الله؛ بل ستصبحون في هذه الحالة ديدان الأرض، وتُهَلَكُون في أيام معدودات كما تُهَلَكُ الديدان وتُباد، فلا يكون الله معكم بل يرضى بتباركم. ولكن إذا تخلّيتم عن أهواء النفس يتجلى الله فيكم، ويكون معكم، وتتبارك تلك الدور التي تسكنونها، وتتنزّل رحمة الله على جدران بيوتكم، حتى تتقدّس المدينة التي يقطنها شخص مثلكم.

إن كانت حياتكم ومماتكم، وكل حركة من حركاتكم، وليُنمكم وشكّتكم، لوجه الله وحده، ولم تشكروا الله عند مصائبكم ومرارتكم، ولم تقطعوا عنه صلّتكم، بل سرتم إليه قُدُما، فالحق والحق أقول.. إنكم ستصبحون بذلك أمة الله المُختارة. إنكم بشر كمثلي، وإلهكم هو إلهي، فلا تُضيعوا قواكم القدسية. لو أنكم كنتم منيبين إلى الله حقاً فإني أخبركم تبعا لمشيئة الله.. أنكم ستصبحون أمة الله المُختارة. اغرسوا عظمة الله في قلوبكم، ولا تكتفوا بالإقرار بتوحيده باللسان فقط بل بالعمل أيضا، ليتجلى الله عليكم بالطفاه وإحساناته. اجتنبوا البغض والضعينة، وعاملوا بني البشر بالمواساة الصادقة. اسلكوا كل سبيل

لنصركم في كل موطن، فلن يقدر عدوّ بعدها على التّيل منكم. ولن تفوزوا برضاء الله تعالى ما لم تتخلّوا عن رغباتكم وشهواتكم وعزّتكم وأموالكم وأرواحكم، وتختاروا المرارة التي هي بمثابة الموت. فإنكم لو اخترتم المرارة.. لكنتم كالطفل الحبيب في حضن الله، فيجعلكم وارثين لمن كان قبلكم من الصديقين، وتفتح لكم أبواب كل نعمة. ولكن.. القليل من يفعل ذلك.

لقد خاطبني الله ﷻ قائلا: إنما التقوى غرسة ينبغي زرعها في الفؤاد، لأن الماء الذي يغذيها يروي حديقة (النفس) بأجمعها. إنما التقوى جذرٌ إذا انعدم صار كل شيء بعده بلا طائل، وإذا سلّم ذلك الجذر سلم كل شيء.

ماذا يُفيد الإنسان تشكّفه بدعوى الإيمان إذا كان لا يخطو نحو الله بقدم الصدق؟ الحق.. والحق أقول: إنه لهالك من كان دينه مشوبا بشيء من شوائب الدنيا. وإن جهنم لقريبة جدا ممن لم تكن نواياه كلها خالصة لله، وإنما كانت بعضها لله وبعضها للدنيا. فإن كانت النوايا مشوبة بشوائب الدنيا ولو مثقال ذرة فإن عباداتكم كلها عبثٌ، وعندها لن تكونوا مطيعين. فإنكم في تلك الحال لا تنقادون

سوف يفوزون في آخر الأمر، وسوف تُفْتَحُ عليهم أبوابُ البركاتِ على مِصْرَاعِهَا.

لقد قال الله تعالى مخاطباً إِيَّايَ أَنْ أُخْبِرَ جماعتي بأن الذين يؤمنون إيماناً لا تشوبُهُ شائبةٌ من الدنيا، ذلك الإيمانَ الذي ليس مُلوّناً بالنفاق أو الجبنِ وليس خالياً من الطاعة، فإنهم مَرْضِيُونَ لدى الله تعالى. ويقول الله تعالى إنهم هم الذين قدمهم قدمُ الصادق.

يا من يملكون السمع .. أَنْصِتُوا! ماذا يريد الله منكم. يريد فقط أن تكونوا له وحده. لا تشركوا به أحداً.. لا في السماء .. ولا في الأرض. إن إلهنا هو ذلك الإله الذي هو حيٌّ الآن كما كان حيًّا من قبل، ويتكلم الآن كما كان يتكلم من قبل، ويسمع الآن كما كان يسمع من قبل. إنه لظنُّ باطل بأنه ﷺ يسمع الآن ولكنه لم يعد يتكلم. كلا، بل إنه يسمع ويتكلم أيضاً. إن صفاته كلها أزلية أبدية، لم تتعطل منها صفة قط، ولن تتعطل أبداً. إنه ذلك الأحد الذي لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. وإنه ذلك الفريد الذي لا كفوَ له... إنه قريب مع بُعد، وبعيد مع قربه، وإنه يمكن أن يُظهر نفسه لأهل الكشف على سبيل التمثيل، إلا أنه لا جسمَ له ولا شكل. وإنه فوق الجميع، ولكن لا

يمكن القول إن أحداً تحته؛ وإنه على العرش، ولكن لا يمكن القول إنه ليس على الأرض... هو الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله وقدراته. لقد سُتتِ أبواب الوصول إليه إلا بابُ فَتَحَهُ القرآن المجيد، ولم تعد هناك حاجة لاتباع جميع الرسائل والكتب السماوية السابقة، لأن النبوة المحمدية احتوتها جميعاً؛ فالأبواب كلها مُغلقة إلا بابها. إنها مشتملة على كل الحقائق الكونية الموصلة إلى الله تعالى. ليس بعدها حقيقة جديدة، وما من حقيقة سابقة إلا ووُجِدَتْ فيها. لذلك.. لذلك قد خُتِمَتْ عليها كلُّ نبوة، وهذا ما كان ينبغي، لأن لكل بداية نهايةً.

وليست النبوة المحمدية بعاجزة عن الإفاضة الذاتية، بل إن فيضها يفوق سائر الرسائل، وطاعة هذه النبوة تُوصِلُ المرء إلى الله بأسهل الطرق، وبتابعها يتشرف المرء بالحبّة الإلهية، والمكاملة والمخاطبة، أكثر مما كان مُتاحاً من قبل. ولا يُقال لتابعها الكامل نبياً مستقلاً، لأن في ذلك انتهاكاً للنبوة المحمدية الكاملة، بل ينطبق عليه في

آن واحد تعبيران: "نبي وأمّي" (أي من أمة محمد ﷺ)، لأنه ليس في ذلك الفيضان الروحاني إساءة إلى كمال النبوة المحمدية التامة، بل إن هذا يزيدُها حسناً ولمعاناً*. وعندما تصل هذه المخاطبة والمكاملة إلى حد الكمال في كفيّتها وكمّيّتها، ولا يبقى فيها من نقص ولا شائبة، بل تشتمل على الأمور الغيبية بصورة واضحة، فهي تسمّى بالنبوة بتعبير آخر.. الأمر الذي اتفق عليه الأنبياء جميعهم. فمن المستحيل أن يُحرم كل أفراد هذه الأمة من هذه المرتبة الرفيعة ولا ينالها فرد منهم، مع أنها الأمة التي قيل بحقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١)، والتي عُلمت هذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. ولو كان الأمر كذلك لكانت الأمة المحمدية ناقصة يعوزها الكمال، ولصار أفرادها كلهم كالعُميان، بل وكان فيضان الرسول عرضة للظعن وصارت قوّته القدسية ناقصة، ولصار من العيب دعاءُ سورة الفاتحة الذي علمنا الله إياه وأمرنا أن ندعو به في صلواتنا

* ومع ذلك فاذكروا جيداً أن باب النبوة التشريعية بعد النبي ﷺ قد أُغلق كلياً، فلا كتاب بعد القرآن الكريم يأتي بأحكام جديدة أو ينسخ أمراً من أوامر القرآن الكريم، أو يعطل أتباعه بل هو معمول به إلى يوم القيامة. (من المؤلف)

الخمس.

كذلك إذا نال أحد الأفراد هذه المرتبة مباشرة بغير اتباع نور النبوة المحمدية لكانت هذه مفسدة أخرى يبطل بها معنى ختم النبوة. ولكي يحفظ الله تعالى النبوة المحمدية من هاتين النقيصتين.. أعطى بعض أفراد الأمة شرف المكاملة والمخاطبة الكاملة التامة المطهّرة المقدّسة، ممن بلغوا مرتبة التفاني في الرسول على الوجه الأتم، حتى أزيلت من بينهم الحجب، وتحقّق فيهم مفهوم اصطلاح "الأُمِّيِّ والتابع" على الوجه الأكمل والأتم بحيث لم يعد لكيانهم الشخصي أي أثر، بل إن شخص المصطفى قد انعكس في مرآة تفانيهم، ونالوا كالأنبياء شرفَ مكاملة الله ومخاطبته على الوجه الأكمل والأتم.

وعلى هذه الشاكلة.. نال بعض الأفراد لقب نبي، مع كونهم من الأمة، لأن هذا النوع من النبوة ليس بمنفصل عن النبوة المحمدية، بل لو دققتم النظر.. لرأيتم أنها هي النبوة المحمدية التي تجلّت في ثوب جديد. وهذا هو معنى قوله ﷺ عن المسيح الموعود إنه "نبي الله"، وقوله: "وإمامكم منكم"، بمعنى أنه نبي ولكنه أيضا من أمته ﷺ. وإلا فليس هناك موطن قدم في هذا المقام لمن ليس من أمته ﷺ. فمبارك من أدرك هذه

”

هكذا كان سيدنا أحمد ﷺ حريصا شديدا الحرص على أن يربي أفراد جماعته تربية روحانية عالية، وأن يوصلهم إلى أعتاب الله تعالى ليكونوا دائما في ظل الله، وليقضوا أعمارهم في معية الله، وليشهد لهم مساء كل يوم أنهم قضوه في طاعة الله، وليشهد لهم صباح كل ليلة أنهم قضوها في ذكر الله، حتى يكونوا من الذين يباهي بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة.

“

الحقيقة ونجا من الهلاك". (الوصية، الخزان الروحانية ج ٢٠ ص ٣٠٧ - ٣١٢)

كل إنسان مخلص يقرأ هذه الكلمات بعين الإنصاف والمحايدة.. يستطيع أن يرى في كاتبها مقدار حرصه الشديد على أن يقف أتباعه دائما في جانب الله وليس في جانب الدنيا، وأن يُطهروا أنفسهم حتى ينالوا نصيبا من روح القدس، وألا يُدنسوا أنفسهم بجيفة الدنيا، وأن يكونوا لله تعالى بكل قواهم وملء قلوبهم، لا يشركون بعبادة ربهم أحدا، ولا يبغون عنه حولا.

هكذا كان سيدنا أحمد ﷺ حريصا شديدا الحرص على أن يُربي أفراد جماعته تربية روحانية عالية، وأن يوصلهم إلى أعتاب الله تعالى ليكونوا دائما في ظل الله، وليقضوا أعمارهم في معية الله، وليشهد لهم مساء كل يوم أنهم قضوه في طاعة الله، وليشهد

لهم صباح كل ليلة أنهم قضوها في ذكر الله، حتى يكونوا من الذين يباهي بهم رسول الله ﷺ الأمم يوم القيامة.

ورغم أن سيدنا أحمد كان قد وهن منه العظم واشتعل رأسه شيبا، ورغم أنه كان يعاني من مرضين ظلا يلازمانه معظم أيام حياته، هما مرض الصداع المزمن ومرض كثرة التبول، بالإضافة إلى بعض الأمراض الأخرى التي كانت تصيبه من حين لآخر، إلا أنه لم يصبه الوهن أبدا في حمل وأداء رسالته، وتبلغ دعوته، وتربية أفراد جماعته، وإقامتهم على البر والتقوى.

لقد ظل حتى أواخر أيام حياته الشريفة الطاهرة يعمل بكل جد وكد، وبكل حيوية ونشاط، مشرفا على أمور الجماعة التي انتشر أفرادها في جميع أنحاء الهند، وتواجدوا خارجها أيضا، في أفغانستان والعراق والشام ومصر والحجاز وإنجلترا وأمريكا.

كان ﷺ يقوم على رأس هيئة كبيرة

يشرف على بعث المندوبين إلى كثير من الأماكن، ويشرف على طباعة الكتب والجرائد والمجلات، وإرسالها إلى القراء والمشتريين، ويراقب كل ما ينشره أعداء الإسلام من الهندوس والمبشرين المسيحيين، ويتصدى لهم بسرعة البرق أو كالشهاب الثاقب. وإلى جانب أداء الفروض في المسجد كان سيدنا أحمد يعقد مجالس العرفان حيث يعظ ويربّي أفراد جماعته. ويقرأ كل الخطابات التي كانت تنهمر عليه من مختلف بقاع الأرض، ويرد بنفسه على كل منها. ويستقبل كذلك الوافدين إليه للاستعلام والاستفسار، ويقدم لهم الضيافة بكل اهتمام من طعام وسكن في قاديان التي لم يكن يوجد بها ولا فندق واحد. كان عليه السلام قد تلقى من قبل وحيًا يقول:

"وسّع مكانك"، ويشير إلى ضرورة استمرار التوسع نظراً لازدياد أعداد المبايعين والداخلين في الجماعة. كذلك جاءه الوحي يقول: "ولا تسأم من الناس"، وكان هذا الوحي أيضاً يشير إلى كثرة الوافدين عليه تحقيقاً لوحي آخر كان قد تلقاه سابقاً يقول: "يأتون من كل فج عميق".

لذلك فقد أقام عليه السلام داراً للضيافة، يقدّم فيها الطعام والسكن للضيوف والفقراء عامة، سواء أكانوا من المسلمين أو من الشيخ أو من الهندوس أو غيرهم. وقد تحدث عليه السلام بنعمة الله العظيمة هذه، وفي بيت من الشعر الذي تضمنته إحدى قصائده، فقال:

لُفَاطَاتُ الْمَوَائِدِ كَانَ أَكْلِي

وَصَرْتُ الْيَوْمَ مَطْعَامَ الْأَهْلِي

وقد أشار عليه السلام في هذا البيت من الشعر إلى أيام الضيق التي قضاها بعد وفاة والده والتي سبقت الإشارة إليها في

وفنّدها، وكتاباً آخر باسم "نحن والآرية في قاديان"، ثم أصدر الجزء الخامس من كتابه الشهير "البراهين الأحمدية". ثم ألّف كتاباً ضخماً سماه "حقيقة الوحي" بالأردية وضمنه باللغة العربية خطاباً اسمه "الاستفتاء" الذي أراد أن يقدم فيه لعلماء الإسلام أسئلة عما يمكن أن تحكم به ضمائرهم فيما يختص بدعوته. ثم بدأ في تصنيف آخر كتاب باسم "رسالة الصلح" لكي يرسى قواعد السلام في المعاملات بين المسلمين والهندوس.

استمر عليه السلام في هذه الحياة من الجهاد والكفاح حتى حلول عام ١٣٢٦

"الرحيل ثم الرحيل"

وحي باللغة العربية تلقاه سيدنا الإمام المهدي عليه السلام

المهجري الموافق عام ١٩٠٨، وكان عمره الشريف قد تجاوز الخامس والسبعين عاماً، ومع هذا فقد ظل يقوم بحمل تبعاته وأداء واجباته خير قيام. غير أنه في شهر أبريل/نيسان ١٩٠٨ أحسّ بأن صحته قد ضعفت وأنه في حاجة إلى العناية الطبية، وتصادف أن زوجته (أم المؤمنين)، السيدة نصرة

الحلقات الماضية. ومع كل تلك المسؤوليات كان زوجاً صالحاً ووالداً حنوناً يرعى أسرته ويشرف على تربية أولاده. كما استمر في تأليف الكتب والإشراف على طبعها ونشرها حتى بعد أن نشر كتابه الوصية. فقد ألّف كتاباً بعنوان "ينبوع المسيحية"، تناول فيه عقائد المسيحية

أراد أن يعمل بالوحي حرفياً، فارتحل من مكان إقامته إلى مكان آخر.

كان الشيخ طوَال إقامته في لاهور شديداً الانشغال في استقبال الضيوف والزوار والأتباع، كان أحد هؤلاء الزوار من الشخصيات المتميزة، وهو البروفسور كلمنت ريج (Clement Rigg) الأستاذ الجامعي في علوم الفلك في بريطانيا، وقد استقبله سيدنا أحمد عليه السلام، وقضى معه وقتاً طويلاً يجيب على أسئلته واستفساراته العلمية والفلسفية. وقد انبهر البروفسور، وتأثر تأثراً شديداً بأجوبته الشيخ، مما حدا به فيما بعد أن يدخل الإسلام، وينخرط في سلك الجماعة الإسلامية الأحمدية، وكان على اتصال مستمر بواسطة الرسائل مع أحد صحابة سيدنا أحمد عليه السلام، الذي كان يجيد اللغة الإنجليزية، وهو مفتي محمد صادق، الذي صار فيما بعد أول داعية إسلامي بعثته الجماعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي يوم ١٥ مايو/أيار استقبل سيدنا أحمد الشيخ إحدى الشخصيات البارزة في الهند، وهو الأستاذ فضل حسين، الذي نال فيما بعد لقب "السير"، وكان من أكابر رجالات القانون في الهند. وقد تقدم الأستاذ فضل حسين بعدة أسئلة لسيدنا أحمد عليه السلام،

أخبرته ابنته بهذه الرؤيا، غير أنه أمرها ألا تذكر هذه الرؤيا لأحد ولا حتى لوالدتها.

وقرر سيدنا أحمد الشيخ بعد أن استخار الله تعالى أن يكون موعد السفر إلى لاهور في يوم ٢٧ أبريل/نيسان ١٩٠٨. وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٦ تلقى وحياً باللغة الفارسية وتعريبه: "لا تأمنُ تقلبات الحياة". وقد فهم الشيخ من هذا الوحي ومن إشارات أخرى أن رحلة حياته قد تنتهي في لاهور، غير أنه قرر أن يسافر في الموعد الذي تحدد من قبل. فغادر قاديان صباح يوم ٢٧ أبريل، حيث توقف في مدينة "بطالة" وقضى فيها يوماً، ثم عاود سفره إلى لاهور، فوصلها يوم ٢٩ أبريل/نيسان ١٩٠٨. كان الراكب الذي صحب سيدنا أحمد وأم المؤمنين من قاديان، يتكون من ابنيهما ميرزا بشير الدين محمود أحمد وميرزا بشير أحمد، وابنتهما مباركة بيغم، ونواب محمد علي، ووالد أم المؤمنين مير ناصر نواب، ومولانا نور الدين، والبعض الآخر من الأهل والصحابة.

وقد اتخذ مقامه في "مبنى الأحمدية". وفي ٩ مايو/أيار تلقى وحياً باللغة العربية يقول: "الرحيل ثم الرحيل". وقد أدرك معنى هذا الوحي، غير أنه

جهان بيغم، كانت أيضاً تشكو من اعتلال صحتها، مما حدا به أن يفكر في الذهاب إلى لاهور.. عاصمة البنجاب.. حيث يمكن له أن يوقر العناية الطبية اللازمة لزوجته ولنفسه. وقبل أن يقرر موعداً للسفر كان الشيخ كعادته يستخير الله تعالى، كما أنه كان يطلب من بعض المقرّبين إليه أن يتوجهوا إلى الله بالدعاء. وفي هذه المرة كان يشغل باله أمرٌ ما، حتى طلب من ابنته "نواب مباركة بيغم" أن تدعو الله تعالى من أجل ذلك الأمر الذي يشغل فكره، وطلب إليها أن تبلغه فوراً إذا تلقت أية إشارة أو رؤيا من الله تعالى. وقامت الابنة بتنفيذ طلب والدها، فرأت رؤيا شاهدت فيها حضرة مولانا نور الدين، الذي كان أحب وأقرب صحابته إليه، والذي كان له شرف أن يكون أول المبايعين على يده الشيخ. رآته في الرؤيا يجلس في غرفة علوية وفي يده كتاب، فلما رآها قال لها: هذا الكتاب يحتوي على وحي تلقاه سيدنا أحمد الشيخ وهذا الوحي يخصني، فأنا أبو بكر.

ولما كان سيدنا أبو بكر هو الخليفة الأول بعد رسول الله ﷺ، فإن هذه الرؤيا كانت تشير إلى أن مولانا نور الدين سيكون الخليفة الأول لسيدنا أحمد الشيخ. وقد اطمأن الشيخ حين

وتلقى منه الإجابات الشافية.

في يوم ١٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ الموافق ١٧ مايو/أيار تلقى سيدنا أحمد عليه السلام وحيا باللغة الفارسية ترجمته: "لا تثق بالحياة الفانية"، وكانت القيمة العددية لحروف هذا الوحي تشير إلى العام الهجري الجاري: ١٣٢٦هـ. وكان هذا من ضمن المؤشرات العديدة التي تشير إلى قرب موعد الانتقال إلى الرفيق الأعلى.

وفي نفس ذلك اليوم استقبل سيدنا أحمد عليه السلام وفدا كبيرا من علماء وقادة المسلمين في لاهور، في مأدبة غداء وقضى معهم وقتا طويلا. وأراد أن يشرح لهم معنى النبوة التابعة، أنها نوع فريد من النبوة خصصها الله تعالى لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في حين كان الناس يفهمون أن النبوة تقتضي أن يكون للنبي كتاب وتشريع، كما كانوا يفهمون ذلك عن كل من موسى وعيسى وسيدنا محمد عليهم جميعا أفضل السلام، لذلك أراد أن يُبين لهم أنه ليس نبيا بهذه الصفة. وكان ضمن محادثاته معهم قوله عليه السلام:

"إن دعواي هي أن الله تعالى قد أرسلني لإزالة الفساد السائد. وما كان لي أن أخفي أن الله تعالى شرفني بالكلمة والمخاطبة، ويكلمني تكليما،

وهذا ما أقصده بالنبوة، إلا أنها ليست النبوة الحقيقية. إن "النبأ" لفظٌ عربي ويعني الخبر، وعليه فإن الذي يتلقى الخبر من الله تعالى ثم يكشفه على الخلق فهو يسمّى بالنبي في اللغة العربية. لا أدعي بشيء منفصلا عن نبينا صلى الله عليه وسلم. إذن فليس الخلاف سوى خلاف في الألفاظ، لأن كثرة المحادثة مع الله تعالى تُسمّى النبوة بكلمات أخرى. وقد صرّحت بذلك السيدُ عائشة رضي الله تعالى عنها في قولها: "قولوا إنه خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده". فلو لم يوجد في الأمة الإسلامية النبوة، لكان الإسلام أيضا دينًا ميتًا، ولم تبق له أية سمة بارزة أيضا. (الملفوظات ج ١٠ ص ٤٢١) وفي يوم ١٧ من ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ الموافق يوم ٢٠ مايو/أيار ١٩٠٨.. تلقى سيدنا أحمد عليه السلام الوحي التالي باللغة العربية: "الرحيل ثم الرحيل والموت قريب". وقد فهم عليه السلام أن أجله قد اقترب، وأن سفره إلى الدار الآخرة سيبدأ في أي يوم أو في أية ساعة. وحين علمت السيدة زوجته بهذا الوحي، اقترحت العودة فورًا إلى قاديان استعدادا لكافة الاحتمالات، ولكن سيدنا أحمد عليه السلام قال: "سنعود حين يأخذنا الله تعالى إلى هناك".

رغم كل هذه المؤشرات التي كانت تنبئ عن قرب موعد الرحيل.. إلا أنه لم يفتر في عضده ولم يستكن، وكأنه كان يُسابق الزمن. فقد نشرت جريدة "أخبار عام" التي تصدر في لاهور خبرا عن الاجتماع الذي عقده عليه السلام مع قادة المسلمين وزعمائهم يوم ١٧ مايو/أيار، وزعمت الصحيفة أنه قد تراجع عن دعوى النبوة، وفي الحال كتب حضرته عليه السلام خطابا إلى رئيس التحرير قال فيه:

"جناب السيد رئيس تحرير جريدة "أخبار عام!"

ورد في جريدة "أخبار عام" عدد ٢٣ مايو ١٩٠٨ في العمود الأول والسطر الثاني خبر يقول بأنني قد أنكرت في جلسة المأدبة دعوى النبوة في حقي. وليكن واضحا، رداً على ذلك، أن كل ما قلت أثناء خطابي في هذه الجلسة هو أنني لم أزل أخبر الناس بواسطة كتيبي - وها إنا أكشف لهم الآن أيضا - أنني أتهم باطلا بأنني قد ادعيت النبوة بحيث لا علاقة لي بالإسلام.. أي وكأنني أعتبر نفسي نبيا مستقلا بحيث لا أرى حاجة لاتباع القرآن الكريم، وأتخذ لي شهادة مستقلة، وقبلت مستقلة، وأنسخ شرع الإسلام، وأخرج عن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واقتدائه. إنها لتهمة باطلة، بل إن

رسولاً من عند الله تعالى، وإذا أحلوا بشروط هذا الاتفاق، يكونون ملزمين بدفع الغرامة المالية المحددة والمتفق عليها، إلى إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية.

وقد قال عليه السلام: "وما آذى قلبي شيء كاستهزائهم في شأن المصطفى، وجرحهم في عرض خير الورى. ووالله لو قُتلت جميع صيباني، وأولادي وأحفادي بأعيني، وقُطعت أيدي وأرجلي، وأخرجت الحدة من عيني، وأبعدت من كل مرادي وأوني وأرني.. ما كان عليّ أشق من ذلك." (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥ ص ١٥)

ثم يقول حضرته عليه السلام: "الحق والحق أقول إننا من الممكن أن نعيش بسلام مع أفاعي الفلوات وسباع البراري، ولكننا لا يمكن أن نتصالح مع أولئك الذين لا يرتدعون عن الإساءة إلى أنبياء الله الأطهار. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية ج ٢٣ ص ٣٨٦)

وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب الذي سماه "بيغام صلح" أي "رسالة الصلح" في يوم ٢٢ من ربيع الثاني الموافق ٢٥ من مايو/أيار ١٩٠٨. كان عليه السلام يُعاني من مرض الدوسنطاريا الذي كان يعاوده من

"أخبار عام" في ٢٦ مايو ١٩٠٨م) وهكذا كان عليه السلام.. حتى آخر أيام حياته الشريفة.. يُبين حقيقة دعوته للناس، ولا يترك فرصة ولا مجالاً دون أن يشرح ويوضح دعوته. وقد بدأ وهو في لاهور بتأليف آخر كتاب له من أجل تحقيق السلام بين المسلمين والهندوس، فاقترح أن يتعهد المسلمون من أتباعه بعدم الإساءة لا إلى كتاب الهندوس المقدس، ولا إلى أولئك الذين يعتبرهم الهندوس من المقدسين، على أن تُفرض غرامة مالية ضخمة على

” رغم كل هذه المؤشرات التي كانت تنبئ عن قرب موعد الرحيل.. إلا أنه لم يفت في عضده ولم يستكن، وكأنه كان يسابق الزمن... “

الجماعة الإسلامية الأحمدية إن أحلت بهذا الاتفاق، وقد حددت تلك الغرامة المالية بمبلغ ثلاثمائة ألف روبية، وهو مبلغ قد يوازي اليوم ما يقرب من ثلاثين مليون دولار، (حسب القوة الشرائية لهذا المبلغ وليس حسب قيمة العملة)، وفي مقابل هذا يتعهد الهندوس أنهم لن يسيئوا إلى سيدنا محمد المصطفى عليه السلام وسيحترمونه بكونه

دعوى النبوة كهذه كفر عندي. وليس اليوم، بل لم أزل دوماً أسجل في كل كتاب لي أنني لا أدعي بمثل هذه النبوة أبداً، وأنها تهمة باطله أرمى بها.

والأساس الذي أدعي النبوة بناء عليه إنما هو أنني أتشرف بكلام الله تعالى، وإنه يحاورني ويكلمني بكثرة، ويجب على أسئلتي، ويُظهرني على الكثير من أبناء الغيب، ويكشف لي أسرار المستقبل بحيث لا يكشفها لأحد ما لم يكن محظوظاً بقرب خاص من عنده سبحانه وتعالى. وبسبب كثرة هذه الأمور إنه سماني نبياً. فإنني نبي وفق حكم الله تعالى، ولو أنني أنكرت ذلك لكنت عاصياً. وما دام الله هو الذي سماني نبياً فكيف يمكن أن أنكر ذلك. وإنني سوف أبقى ثابتاً على هذا إلى أن أرحل من هذه الدنيا. غير أنني لست بنبي بحيث أنفصل عن الإسلام، أو أنسخ حكماً من أحكامه. كلا، بل إن رقبتي هي تحت نير القرآن الكريم. وليس لأحد أن ينسخ حتى نقطة أو حركة من القرآن الكريم. إنني أُسمي نبياً لأن كلمة "نبي" تعني - في اللغتين العربية والعبرية - مَنْ يدلي بكثير من الأنباء بناء على وحي الله تعالى. وبدون كثرتها لا يمكن أن ينطبق هذا المعنى (على أحد). (مكتوب لحضرته عليه السلام نُشر في جريدة

حين لآخر، وفي الليلة الواقعة بين ٢٥ و ٢٦ مايو/أيار الموافق ٢٣ من ربيع الثاني، عاوده المرض، فجمع صلاتي المغرب والعشاء، وتناول قليلا من الطعام. ثم أحس بالرغبة في قضاء حاجته فذهب إلى بيت الخلاء، ثم عاد إلى غرفته لينال قسطا من الراحة. ونام بعض الوقت، ولكنه استيقظ مرة أو مرتين أثناء الليل لقضاء حاجته. وعند الساعة الحادية عشرة ليلا استيقظ مرة أخرى وشعر بضعف شديد، فأيقظ زوجته. وبعد قليل ازداد شعوره بالضعف، فاستأذنته زوجته أن تدعو مولانا نور الدين رضي الله عنه، الذي كان طبيبا حاذقا وهو أيضا أقرب وأحب صحابته إليه، فوافق حضرته، وطلب أيضا استدعاء ابنه الأكبر بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الذي كان في التاسعة عشرة من عمره. ولما حضر مولانا نور الدين رحمته والدكتور محمد حسين والدكتور يعقوب بيك قال لهم سيدنا أحمد رحمته: إنه يعاني من الدوسنطاريا، وطلب منهم أن يصفوا له دواء، ثم أضاف قائلا: "في الحقيقة إن الدواء موجود في السماء، فعليكم بالدواء والدعاء". قام الأطباء بمعالجته، ولكن

الضعف ظلَّ يزداد. كان رحمته يشعر بالجفاف في لسانه وحلقه، غير أنه راح يردد بين حين وآخر: "يا إلهي، يا حبيبي". ولعل هذا يُذكرنا بما قاله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، إذ ورد في صحيح البخاري بأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رأس النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي، فعُشي عليه، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: "اللهم الرفيق الأعلى". (صحيح البخاري، كتاب المغازي)

كان صحابة سيدنا أحمد رحمته وجميع الحاضرين في حالة عجيبة من القلق والاضطراب، وكان بعضهم يقوم بخدمته وبعضهم الآخر يؤدي صلاة التهجد. وقد كتب ابنه ميرزا بشير أحمد رحمته عن هذه الحالة فقال: "... حينما رأيت وجه والدي في صباح ذلك اليوم انتابني القلق، واستولى عليّ شعور بأن هذا ليس إلا مرض الموت".

حول الساعة الخامسة فجراً وصل نواب محمد علي رضي الله عنه، وهو زوج ابنة المسيح الموعود، ولما دخل سلم على سيدنا أحمد فردَّ عليه السلام وسأل: هل حان وقت صلاة الفجر؟ قيل نعم. فضرب بكفيه على

الفرش وتيمم، ثم أخذ يُصلي الفجر. ولكنه عُشي عليه أثناء الصلاة، وبعد قليل أفاق، فسأل ثانية: هل حان وقت صلاة الفجر؟ فقيل: نعم. فنوى لصلاة الفجر ثانية، وراح يؤدي الصلاة حتى فرغ منها، ثم عُشي عليه وهو يردد: "يا إلهي، يا حبيبي". وفي الساعة الثامنة صباحا سأله أحد الأطباء الذين كانوا يتولون علاجه، عما إذا كان يشعر بألم أو أذى في أي جزء من أجزاء جسده الشريف، ولكنه لم يستطع أن يجيبهم بسبب شدة الضعف، وأشار إليهم أن يُحضروا ورقة وقلمًا، فكتب أنه يشعر بضعف شديد لذلك فإنه لا يرد عليهم. وفي الساعة التاسعة صباحا تدهورت حالته وكانت أنفاسه الشريفة قد تطاولت، وبات واضحا أنه في اللحظات الأخيرة من حياته. وقرب الساعة الحادية عشرة قبيل ظهر ذلك اليوم ٢٦ مايو، فاضت روحه الطاهرة للقاء حبيبها، وانتقلت إلى الرفيق الأعلى في جنة الخلد، وإنا لله وإنا إليه راجعون. وبذلك انقضت أيام عمره المبارك الذي بلغ فيه الخامس والسبعين ونصف العام.